أو التعاطف مع القضية اليهودية لم تكن فكرة مجهولة لدى البريطانيين قبل عام ١٩١٧ ، بل كانت هناك على الدوام ، ومنذ اوائل القرن التاسع عشر ، قطاعات من الرأي البريطاني تعي مشاكل الشعب اليهودي . ففي ١٩٠٢ حاول اللورد لانسدون توطين اليهود على نطاق واسع. وفي عام ١٩٠٣ قدم تشمبرلين الى هرتزل عرضا يقضي بتحويل يوغندا الى وطن يهودي ممكن(٥). بيد ان المحاولات المتقطعة من جانب رجالات الدولة لارساء دعائم تشريع مؤيد للصهيونية في السياسة البريطانية لم تكن ناجحة . وبعد الرفض الصهيوني لمشروع يوغندا سقطت الحركة في ادراج النسيان — حتى كان ادخال فكرة الصهيونية من جديد لدى رجال الدولة البارزين باعتبارها سياسة عملية وتكتيكية في زمن الحرب .

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ أعلن المستر اسكويث بأن « الحكومة العثمانية هي التي قامت بتوجيه الضربة القاضية الى السيادة العثمانية ، ولسنا نحن »(٦). وفي هذا اليوم بالذات طلب هربرت صموئيل من السير ادوارد غراي تأييد القضية الصهيونية . على ان تحبيذ غراي للاقتراح لم يمنع اسكويث من الاعتقاد بأن مثل هذه الرعاية سوف تكون بمثابة عبء يثقل كاهل الحكومة البريطانية . ولولا الجهود الملحاحة التي بذلها نفر من الصهيونيين الاغيار (غير اليهود) لكانت الاماني الصهيونية قد أبعدت من جديد الى المسرح الخلفي. ان تشارلز بريستويك سكوت،رئيس تحرير **المانشستر غارديان**،وهربرت سايدبوثام ، المعلق والناقد العسكري في الصحيفة ، كانا من الاوائل والسباقين في رؤية التقاء المصالح بين بريطانيا العظمى وفلسطين اليهودية . ففي مقالة كتبها خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ كان سكوت يأخذ بعين الاعتبار مسألة تقسيم الامبراطورية العثمانية المتداعية مصرحا بأن روسيا تفضل بريطانيا على فرنسا الكاثوليكية في ارض الاماكن المقدسة(٧). واذا استولت بريطانيا على مقاطعة جديدة في بلاد ما بين النهرين ، فلا ينبغي فصل مركزها هذا عن مصر بواسطة رقعة معادية . ان بريطانيا كانت بحاجة الى دولة عازلة (فاصلة) . وعلى اساس هذه الفرضية اعلن سايدبوثام « بأن مستقبل الامبراطورية البريطانية ، كامبراطورية بحرية ، يعتمد بأسره على تلك الدولة المنشودة »(٨). ثم عمد سايدبوثام فيما بعد الى اعادة التوكيد على الاعتبارات الاستراتيجية التي تدعو الى تبني سياسة صهيونية ، وذلك في تقرير اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ . فهو يقول ما يلي : « لقد ذهبنا الى هناك ابان الحرب لاننا وجدنا الامر لا يطاق فيما لو بقي خط اتصالنا الرئيسي مع الشرق مارا بين جبهتين قتاليتين . وكان من الضروري توسيع رقعة الاحتلال بحيث تشمل على الاقل ذلك القسم الجنوبي من فلسطين بأكمله ، وهو القسم الذي لعب دورا بالغ الاهمية في التاريخ الحربي على مر العصور »(٩).

لذا اطلق سايدبوثام متعمدا الوصف التالي على فلسطين ، بقوله انها « مفتاح مصر »(١٠). كما شدد على الحسنات الاقتصادية لفلسطين الخاضعة للسيطرة البريطانية . فكتب يقول : « ان مركز بريطانيا العظمى الخاص لا يمكنه الاخفاق ، بحكم طبيعة الاشياء ، في اعطائها الفرصة كاملة لكي تعثر في فلسطين على سوق جديدة ورابحة : وعلى ما يوازي ذلك أهمية : في حصولها على التسهيلات الاستثنائية لضمان الوصول الى الاسواق النامية في البلدان المحاذية »(١١).

وبعد نهاية الحرب كانت لدى البريطانيين أسباب جديدة تحدوهم لضمان فلسطين صديقة ، كما اعتبروا فلسطين مركزا للمواصلات في المنطقة . ان أمن فلسطين كان ضروريا لانجاح مشروع مد انابيب البترول الى حيفا وبالنسبة للخطوط الجوية صوب الشرق(١٢). وبعد ذلك بزمن طويل أدى التوتر مع ايطاليا نتيجة لحرب الحبشة الى التشديد على أهمية حيفا وملاءمتها كقاعدة بحرية .